

## المحاضرة الثالثة:

دور القرآن الكريم في صياغة التفكير الفلسفي .

ويشمل:

أولاً: مكانة العقل في القرآن الكريم.

ثانياً: أهمية العلم ومكانته في القرآن الكريم.

## دور القرآن الكريم في صياغة الفكر الفلسفي

إن الدين الإسلامي دين أهتم بعقل الإنسان وخاطبه، وقد اشتمل القرآن الكريم على الكثير من الآيات التي تدعو العقل الإنساني إلى النظر والتأمل والتفكير، مثل قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾، ومثل قوله تعالى: ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلْيَلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾، وقوله: ﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً ﴾، والقرآن مليء بمئات الآيات التي تخاطب العقل وتحثه على النظر في مخلوقات الله، وفي هذه الآيات وغيرها رد على هؤلاء المستشرقين الذين ادعوا أن القرآن يدعو إلى الجمود والتخلف لا إلى حرية الفكر والنظر العقلي.

كما تدعو الآيات القرآنية صراحة إلى العلم بقيمته وأهميته ومكانته عند الله تعالى، ومكانة العلماء أيضاً، ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾، وقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ﴾، فهل هناك تكريم وتشجيع للعلم أكثر من ذلك؟

ونوضح هنا نقطة هامة وهي التسليم الذي أجمع عليه بعض المؤرخين والفقهاء عل أن أهم ما يميز موقف السلف من الصحابة أنه لا يتعارض مع دعوة القرآن إلى النظر والتأمل والجدال، الجدل مع أصحاب الديانات الأخرى لإقناعهم بالدعوة، ولأن مصير الدعوة الإسلامية كان مرتبطاً بهذا النقاش والحوار والجدال لإقناع القوم للدخول في الإسلام لذا كان لابد منه.

أما الجدل الذي نهى الله ورسوله عنه فهو كثير، كالجدل في الذات الإلهية وصفاتها ووحدانياتها، وعلاقة الذات بالصفات، ولهذا ترى الصحابة- رضوان الله عليهم- قد انصرفوا عن الخوض في هذا النوع من الجدل، لأن إيمانهم بعقائد الإسلام كان قوياً وواضحاً، ولهذا فقد حدثت بعض المواقف لأصحاب رسول الله- ﷺ- في مثل هذا الجدل فكان تصرفهم تصرف العالم الحاذق، مثل ما حدث مع الإمام علي بن أبي طالب- ﷺ- عندما سئل: أين الله؟ فقال: ( إن الذي أين الأين لا يقال له: أين؟) فقيل له: كيف الله؟ فقال: ( إن الذي كيف لا يقال له: كيف؟).

وقد ورد عن الإمام جعفر بن محمد -عليه السلام- قال: ( إذا بلغ الكلام إلى الله فامسكوا )، وقال أيضاً:  
(تكلموا فيما دون العرش، ولا تتكلموا فيما فوق العرش، فإن قوماً تكلموا في الله فتاهوا).  
وذكر عن الإمام محمد بن الحنفية -عليه السلام- قوله: ( لا تهلك هذه الأمة حتى تتكلم في ربها).

## دور الرسول الأكرم محمد - ﷺ - في صياغة التفكير الفلسفي

كانت للنبي محمد - ﷺ - كل المؤهلات العقلية والفكرية التي لا توجد في أي عقلية أخرى من فلاسفة اليونان، فهو بحق أبو الحكماء، أي: أبو الفلاسفة، ودليلنا على ذلك أن الرسول - ﷺ - كانت لديه خصائص الموقف الفلسفي: الشك المنهجي، والموضوعية وهي عدم التأثر بالعواطف والمزاج الشخصي، والتجربة، والتحقق ... الخ، وهذه الخصائص وغيرها قد لازمت الرسول - ﷺ - فلو تتبعنا سيرته منذ نشأته لوجدناه لا يستريح لكل أو معظم سلوكيات وعادات أقرانه من نفس سنه، ولا من غير سنه، ولم يطمئن لما كانوا يعبدون من أصنام وأوثان، وانتابهُ القلق والحيرة والدهشة والشك مما كانوا يعبدونه، وإن كان لا يصرح بذلك، فكان عليه الصلاة والسلام لا يجد فيها - الأصنام - فائدة ولم يطمئن قلبه لعبادتهم الآلهة، فأخذ يتجه إلى النظرة الكلية في خالق هذا الوجود، فاعتزل المجتمع في غار حراء يتأمل ويتفكر في الكون وخالقه، رافضاً كل عادات وتقاليد وعقائد المجتمع متحملاً في ذلك كل مشقة، إلى أن نزل عليه الوحي، وبعد نزول الوحي زاد في قلقه وحيرته - ﷺ - فذهب إلى زوجته السيدة خديجة - رضي الله عنها وأرضاها - فأخبرها الخبر، فما كان عليها إلا أن أخذته إلى ورقة بن نوفل ابن عمها، والذي أبلغ رسول الله - ﷺ - بأنه رسول الله حقاً، فأمن عند ذلك الرسول إنه على حق فيما كان يسلكه من رفض لهذه الآلهة التي كان يعبدها قومه.

وسلك الرسول - ﷺ - أسلوب الحكمة في الدعوة الإسلامية إلى آمن الآلاف من المسلمين، وهذا أكبر دليل على إن البيئة العربية انجبت حكماء من أعظم الحكماء، كما انجبت البيئة الصحراوية الجرداء مئات من الصحابة الذين سلكوا مسلك رسول الله - ﷺ - في كل أمورهم ووقفوا مواقفه، فلم يؤمنوا بالرسالة إيمان الأعمى أو الجاهل بل إيمان العالم المتبصر الذي يسأل رسول الله - ﷺ - عن حقيقة هذه الرسالة، وعن حقيقة الإله الذي يدعوا إليه الرسول، فتلاحظ أنه لم يؤمن أحد إلا بعد المعرفة الحقيقية بالدين الجديد، فلا نجد مسلماً أسلم جبراً أو خوفاً ولا جهلاً بل آمنوا كلهم بحرية كاملة وبعد علم ويقين عن حقيقة هذا الدين.

أليس هذا يعد موقفاً فلسفياً حقيقياً من رسول الله وصحابته؟ فالتساؤلات الكثيرة التي كانت تدور في فكر النبي - ﷺ - عن حقيقة هذا الوجود، مَنْ خَلَقَهُ؟ وما حقيقته؟ والصحابة - رضي الله عنهم - وكيف أنهم لم يؤمنوا إلا بعد التأني والتروي والنقاش والحوار والجدال عن حقيقة هذا الدين وعن حقيقة هذا الإله، كل هذه العمليات وإن دلت على شيء فإنها تدل على أن هناك عقلية تفكر؛ لا بل إنها تعمقت في التفكير، وهذا أكبر دليل على أن هذه العقلية تمتلك كل خصائص الموقف الفلسفي.